اللوفر

كان اللوفر مسكناً لبعض ملوك فرنسا ، ويقع على الضفة الشمالية لنهر السين فى باريس ، بناه فيليب أغسطس عام ١١٩٠ م تحاشياً لمفاجآت الهجوم على المدينة أثناء فترات غيابه الطويلة فى الحملات الصليبية ، وأخذت القلعة اسم المكان الذى شيدت عليه ، وكان متوسط الحجم آنذاك ، ثم قام شارل الخامس فوسعه على شكل قلعة ، ثم حوله فرانسيس الأول وخلفاؤه إلى قصر وجعلوه واحداً من أجمل قصور أوربا ومثالاً لعصر النهضة فى فرنسا ، وقد جلب هنرى الرابع الفنانين إلى اللوفر ، وهيأ لهم المسكن فى ممراته الطويلة ، وبذلك بدأ اتصاله بالفنون التى يعرف بها الآن ، إلا أن نابليون الأول حوله إلى متحف يعد من أعظم وأشهر متاحف العالم.

يدخل الزائر إلى متحف اللوفر من خلال هرم زجاجى ضخم تم افتتاحه فى عام ١٩٨٩ م ، وأهم أقسام المتحف القاعة الكبرى التى شيدها كاترين دى ميدتشى فى القرن السابع عشر ، وتحتوى على العشرات من اللوحات النادرة لعباقرة الرسامين ، تتصدرها تحفة ليوناردو دافنشى الموناليزا الشهيرة .

والمتحف مقسم إلى أجزاء عدة حسب نوع الفن وتاريخه ، ويبلغ مجموع أطوال قاعاته نحو ١٣ كيلومتراً ، وهى تحتوى على أكثر من مليون

قطعة فنية سواء كانت لوحة زيتية أو تمثالاً. وبالمتحف مجموعة رائعة من الآثار المصرية والإغريقية والرومانية ، بالإضافة إلى لوحات وتماثيل يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر الميلادى .

كما يحتوى المتحف على العديد من الآثار الشرق أوسطية والتى قام الأوربيون بالاستيلاء عليها خلال حملاتهم الصليبية والاستعمارية على مدار القرون ، حيث يتم عرضها حالياً فى المعرض ، وقد كتب عن هذا المتحف العديد من الروايات المشوقة ، ومن أهمها رواية (شفرة دافنشى) للكاتب العالمى دان براون.

الماجنا كارتا

الماجنا كارتا (الميثاق الأعظم للحريات) واحدة من أهم الوثائق القانونية فى تاريخ الديمقراطية ، فهى الوثيقة التى وضعت أسس الحريات العامة فى إنجلترا ، وهى ذات أهمية تاريخية من حيث نشأة وسيادة النظام الدستورى ، وتأثيرها على الدساتير والوثائق فى الدول الأخرى.

انتزعها نبلاء إنجلترا عام ١٢١٥م من الملك " جون " ، وفيها اعترف الملك بحقوق الشعب وسيادة القانون ، وقد نصت على عدم فرض ضرائب على الشعب إلا بعد موافقة ممثليه ، وأن تكون إرادة الملك ملتزمة بالقانون ، وضمان الحقوق الأساسية ، وفى مقدمتها إلغاء السجن دون المثول أمام محكمة ، كما تنص على أن تكون الكنيسة حرة من التدخلات الملكية بشئونها ، كما تحصر حقوق الملك وتحد من نفوذه وسلطته ، كما أجازت للنبلاء استخدام القوة لإعادة الملك جون إلى الخط المستقيم فى حال إظهار أى تقاعس فى الإيفاء ببنودها .

وقد ضاعت النسخة الأصلية من الماجنا كارتا والتى تحمل ختم الملك جون منذ وقت طويل ، لكن توجد أربع نسخ أخرى تم توزيعها وقتها على مختلف أنحاء البلاد .

أسرار الألماس

الألماس هو مادة ذات تركيب بلورى يتكون بنسبة كبيرة من الكربون وذلك بعد تعرضه لضغط وحرارة شديدين ، وقد عرف منذ القدم كأحد الجواهر القيمة معنوياً وعملياً ، ازدادت شعبية الألماس فى القرن التاسع عشر مع تحسن تقنيات القطع والصقل ، يشتهر الألماس بصفات فيزيائية فائقة ، وخصوصاً صلابته العالية حيث يتحصل وحده على درجة $\frac{10}{10}$ فى سلم درجات صلابة الأحجار مع الأخذ فى الاعتبار أن الفرق فى درجات الصلابة بين الدرجة التاسعة (الزفير والياقوت) و الدرجة العاشرة كبير ، كما يشتهر بتشتيته العالى للضوء، ولهذا السبب فإن الألماس مادة ذات قيمة مهمة فى صناعة الطى بالإضافة إلى استعمالات صناعية أخرى مثل استخدام الألماس على رأس أنابيب التنقيب عن البترول ، وذلك لقوته الشديدة.

يستخرج معظم الألماس من الفوهات البركانية حيث تلقى به الحمم البركانية من أعماق الأرض من مسافات قد تصل إلى ١٥٠ كيلومتراً حيث الحرارة والضغط العاليين لمدة طويلة تصل إلى ملايين السنين تهيّأن ظروفاً مناسبة لتشكيل الألماس ، وتقع معظم مناجم الألماس فى وسط وجنوب أفريقيا على الرغم من اكتشاف كميات لا بأس بها فى كل من كندا وروسيا والبرازيل وأستراليا.

جودة الألماس تقدر دائماً بالنظر إلى أربعة معايير مهمة وهى القيراط ، الوضوح (النقاء) ، اللون ، والقطع . وبالمقابل للألماس الطبيعى يتم إنتاج الألماس صناعياً بكميات تقارب أربعة أضعاف الكمية المستخرجة طبيعياً ، ومع ذلك فإن معظم الألماس الصناعى يكون صغيراً ويحتوى على تشوهات واضحة مما يجعل أسعاره بخسة أمام الألماس الطبيعى و يكون استعماله محصوراً بشكل كبير للأغراض الصناعية ، لذلك دائماً ما تجد شهادات ضمان تصاحب الألماس الطبيعى خصوصاً النادر منه وتكون هذه الشهادات صادرة من مراكز أو شركات تمتلك خبراء وباع طويل فى التعامل مع الألماس والأحجار الكريمة ، حيث تذكر أدق تفاصيل الحجر من بينها وزن قيراط الحجر ونوع قطعه ودرجة الوضوح واللون بالإضافة إلى الأبعاد (القياسات) ، وتعطى الشهادة رقم مسلسل ، وتدرج صورة من الشهادة فى سجلات الشركة وهى شهادات مضمونة لا يمكن الشك فيها وتجعل الألماس ذات قيمة أكبر.

تعد الماسة " الأمل " أشهر ماسة فى العالم ، يبلغ وزنها ١١٢٥ قيراطاً ، وقد وجدت فى الهند ونقلت بعد ذلك إلى فرنسا وورثها لويس السادس عشر وماري انطوانيت ، ثم سرقت وظهرت فى لندن عام ١٨٣٠م ، وما من أحد أمتلكها إلا وحلت به اللعنة ، وبعد رحلتها الطويلة اشتراها الجواهرجى " هارى ونستون " عام ١٩٤٧ م وتبرع بها لمؤسسة " سميث سونيون " خوفاً منها وليشاهدها ثلاثة ملايين متفرج سنوياً فى متحف المؤسسة بأمريكا .

وأقدم ماسة فى العالم تدعى " الكوهينور " زينت تاج الملكة اليزابيث الأم التى ارتدته بمناسبة تتويج زوجها الملك جورج السادس ، وجدت هذه الماسة بالهند ، ويقال أنها انتقلت من يد لأخرى من الأفغانيين إلى السيخ إلى حين وجدها اثنان من الضباط البريطانيين فى أحد كنوز لاهور عاصمة البنجاب وقدمت هدية للملكة فيكتوريا وكان وزنها حينذاك ١٨٦ قيراطاً ووصل سعرها

إلى ٤٠ ألف جنيه استرلينى فى ذلك الوقت ، وتوارثتها العائلة المالكة حتى أصبحت من نصيب ممتلكات التاج البريطانى.

أما أكبر ماسة فى العالم " كولينان " عثر عليها عام ١٩٠٥م فى منجم فى جنوب أفريقيا وقد أهدتها حكومة " الترانسفال " إلى الملك أدوارد السابع ملك بريطانيا كعربون للصلح بعد " حرب البوير " وكان وزنها ٣١٠٦ قيراطاً ، أمر الملك بإعادة صقلها وقطعها إلى " ٩ " ماسات كبيرة و " ٩٦ " ماسة صغيرة ، ولعل أكبر هذه القطع وأشهرها " نجمة أفريقيا الكبرى " وتزن ٥٣٠ قيراطاً وهى ضمن مجموعة مجوهرات التاج البريطانى ، أما القطع الأخرى فهى تزين التاج وتتزين الملكة بماستين منها ، إحداهما "٩٤ " قيراطاً والثانية " ٦٣ " قيراطاً.

المماليك

خليط من الأتراك والروم والشراكسة والروس جلبهم الحكام ليستعينوا بهم كقوة تساندهم وتدعم الأمن والاستقرار فى ممالكهم ، خاصة الأيوبيين فى عصورهم المتأخرة حين أصابهم الضعف ، وهنا كثر عدد المماليك وزادت قوتهم وتقلدوا المناصب المهمة ، حتى تولوا عرش السلطنة وحكموا مصر والشام والعراق والجزيرة العربية من ١٢٥٠ – ١٥١٧م .

فبعد انتهاء دولة الأيوبيين بمقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين أسس المماليك دولتين متعاقبتين كانت عاصمتهما القاهرة هما دولة المماليك البحرية (١٢٥٠ – ١٣٨٢ م) وسميت بهذا الاسم لأن الملك الصالح الأيوبى كان قد بنى قلعة فى جزيرة الروضة واستقدمهم إليها ، وبعد وفاته ومقتل ابنه توران شاه ، تولت زوجته شجر الدر الحكم ثمانين يوماً اضطرت بعدها إلى التخلى عن الحكم تحت ضغط الخليفة العباسى المستنصر بالله ، ولعدم اقتناع المصريين بأن تتولى أمورهم إمرأة ، وتزوجت عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك البحرية ، ثم تعاقب بعد مقتله العديد من السلاطين كان من أبرزهم قطز ، وبيبرس البندقدارى ، والمنصور قلاوون ، ومحمد بن قلاوون ، وخليل بن قلاوون الذى استعاد عكا آخر معاقل الصليبيين فى الشام ... وكان آخر سلاطين

دولة المماليك البحرية الصالح زين الدين حاجى الذى شاركه فى السلطنة الأمير برقوق.

وحين انقلب الأمير برقوق على الصالح زين الدين حاجى وانفرد بعرش السلطنة ، انتهى ملك بيت قلاوون وانتهت دولة المماليك البحرية ، وبدأ عصر دولة المماليك البرجية أو الجراكسة (١٣٨٢ – ١٥١٧م) وعرفوا بالمماليك البرجية لأن السلطان قلاوون أسكنهم فى أبراج قلعة الجبل ، ومن أبرز سلاطينهم السلطان برقوق ، وابنه فرج ، والأشرف برسباى فاتح قبرص، وقنصوه الغورى ، وطومان باى آخر سلاطينهم .

قام المماليك فى أول عهد دولتهم بصد الغزو المغولى على بلاد الشام ومصر وكانت قمة التصدى فى موقعة عين جالوت ، بعدها وفى عهد السلطان بيبرس (١٢٦٠ – ١٢٧٧ م) والسلاطين من بعده ركز المماليك جهودهم على الإمارات الصليبية فى الشام وقضوا سنة ١٢٩٠ م على آخر معاقل الصليبيين فى بلاد الشام (عكا).

وأصبحت القاهرة مركزاً رئيسياً للتبادل التجارى بين الشرق والغرب ، وازدهرت التجارة ومعها اقتصاد الدولة ، وقام السلطان برقوق (١٣٨٢ – ١٣٩٩ م) بقيادة حملات ناجحة ضد تيمور لنك وأعاد تنظيم الدولة من جديد ، وحاول السلطان برسباى (١٤٢٢ – ١٤٣٨م) أن يسيطر على المعاملات التجارية فى مملكته ، وكان للعملية تأثير سيئ على حركة هذه النشاطات ، قام برسباى بعدها بشن حملات بحرية ناجحة نحو قبرص .

منذ عام ١٤٥٠ م بدأت دولة المماليك تفقد سيطرتها على النشاطات التجارية وأخذت الحالة الاقتصادية للدولة تتدهور ، ثم زاد الأمر سوءاً التقدم الذى أحرزته الدول الأخرى على حسابهم فى مجال تصنيع الآلات الحربية ،

وفى سنة ١٥١٧ م تمكن السلطان العثمانى سليم الأول من القضاء على دولتهم التى ضمت مصر والشام والحجاز إلى أراضى الدولة العثمانية .

تمتع المماليك خلال دولتهم بشرعية دينية فى العالم الإسلامى وذلك لسببين هما تملكهم لأراضى الحجاز والحرمين ، ثم استضافتهم للخلفاء العباسيين فى القاهرة منذ ١٢٦٠ م.

ولقد اهتم المماليك بالأوضاع الحضارية من بناء للمدارس والمساجد والعمائر ، حتى يعد عصرهم من أزهى العصور فى العمارة ، فقد كان للمماليك إسهام رائع فى مجال العمارة ، فقد أصبح فن العمارة على أيديهم إسلامياً يستقى قواعده من مبادئ الإسلام وأصوله ، ففى بناء البيوت انطلق فكرهم من مبدأ منع الاختلاط والغيرة على النساء فتبنى البيوت الطابق الأول للرجال ويسمى "السلاملك " والسفلى للنساء ويسمى " الحرملك " ومدخل البيت ينحرف نحو دهليز ومنه إلى حجرة الضيوف ، حتى لا يرى الداخل من فى وسط البيت، وكانت هناك مداخل خاصة بالنساء فقط ، وكانت شبابيك البيوت مرتفعة بحيث لا يرى السائر فى الطريق ولو كان راكباً من بداخل البيت ، وكانت هذه الشبابيك عبارة عن خشب مثقوب يسمح بدخول الضوء والهواء ، ويسمح لمن بداخل البيت برؤية من بالخارج بحيث لا يرى من بالخارج من بداخل الحجرات.

وهم الذين ابتكروا نظام دولاب الحائط الذى يوضع فيه الأطباق الخزفية، وعنهم أخذ هذا النظام وكان لهم اهتمامهم بالزراعة والصناعة إلى جانب تأليف الموسوعات العلمية والأدبية ومن هذه الموسوعات التى ازدهرت فى عهدهم " صبح الأعشى فى صناعة الإنشا " للقلقشندى و "نهاية الأرب فى فنون الأدب " للنويرى. كما ازدهرت فى عهدهم الكتب التاريخية ، مثل المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى ، ومؤلفات ابن تغرى بردى وغيرهما.

شجر الدر ...
ملكة لثمانين يوماً

كانت شجر الدر – عصمة الدين أم خليل – تركية الأصل ، وقيل أيضاً إنها أرمينية ، اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب وتزوجها وأعتقها وأنجبت منه ابنها خليل ، الذى توفى فى حياة والده .

لقى السلطان " الصالح أيوب " ربه فى ١٢٤٩م والقوات الصليبية تزحف جنوباً على شاطئ النيل الشرقى لفرع دمياط للإجهاز على القوات المصرية الرابضة فى المنصورة ، وكانت إذاعة خبر موت السلطان فى هذا الوقت الحرج كفيلة بأن تضعف معنويات الجند ، وتؤثر فى سير المعركة .... فأخفت خبر موته وأمرت بحمل جثته سراً فى سفينة إلى قلعة الروضة بالقاهرة، وأمرت الأطباء أن يدخلوا كل يوم إلى حجرة السلطان كعادتهم ، وكانت تدخل الأدوية والطعام إلى غرفته كما لو كان حياً ، واستمرت الأوراق الرسمية تخرج كل يوم وعليها علامة السلطان .

وتولت شجر الدر ترتيب أمور الدولة وإدارة شئون الجيش فى ميدان القتال ، وفى الوقت نفسه أرسلت إلى توران شاه ابن الصالح أيوب تحثه على القدوم من الشام إلى مصر ، ليتولى السلطنة بعد أبيه ، وفى الفترة ما بين موت السلطان الصالح أيوب ومجئ ابنه توران شاه وهى فترة تزيد عن ثلاثة أشهر

نجحت شجر الدر فى مهارة فائقة أن تمسك بزمام الأمـور ، ونجـح الجـيش المصرى فى رد العدوان الصليبى ، وإلحاق خسائر فادحة بالصليبيين ، وحفظت السلطنة حتى تسلمها توران شاه الذى قاد البلاد إلى النصر .

بعد النصر تنكر السلطان الجديد لشجر الدر ، وبدلاً من أن يحفظ لهـا جميلها بعث يتهددها ويطالبها بمال أبيه ، فكانت تجيبه بأنها أنفقته فـى شـئون الحرب ، وتدبير أمور الدولة ، فلما اشتد عليها ورابها خوف منه ذهبـت إلـى القدس خوفاً من غدر السلطان وانتقامه ، ولم يكتف توران شاه بذلك ، بل امتـد حنقه وضيقه ليشمل أمراء المماليك ، أصحاب الفضل الأول فى تحقيق النصـر العظيم ، وإلحاق الهزيمة بالحملة الصليبية السابعة ، وبدأ يفكر فـى الـتخلص منهم، غير أنهم كانوا أسبق منه فى الحركة وأسرع منه فى الإعداد ، فتخلصوا منه بالقتل .

وجد المماليك أنفسهم فى وضع جديد فهم اليوم أصحاب الكلمة الأولـى فى البلاد ، وبدلاً من أن يختاروا واحداً منهم لتولى شئون البلاد اختاروا شـجر الدر لتولى هذا المنصب الرفيع ، ولم تكن شجر الدر أول امرأة تحكم فى العالم الإسلامى ، فقد سبق أن تولت " رضية الدين " سلطنة دلهى ، واستمر حكمهـا أربع سنوات (١٢٣٦-١٢٤٠م). وفى مايو ١٢٥٠م أخـذت البيعـة للسـلطانة الجديدة شجر الدر.

وما أن جلست شجر الدر على عرش الحكم حتى قبضت علـى زمـام الأمور ، وأحكمت إدارة شئون البلاد ، وكان أول عمل اهتمت به هو تصـفية الوجود الصليبى فى البلاد ، وإدارة مفاوضات معه ، انتهت بالاتفاق مع الملـك لويس التاسع الذى كان أسيراً بالمنصورة على تسليم دمياط ، وإخـلاء سـبيله وسبيل من معه من كبار الأسرى مقابل فدية كبيرة قدرها ثمانمائة ألف دينـار ،

يدفع نصفها قبل رحيله ، والباقى بعد وصوله إلى عكا ، مع التعهد منه بعدم العودة إلى سواحل الإسلام مرة أخرى .

غير أن الظروف لم تكن مواتية لأن تستمر شجر الدر فى الحكم طويلاً، على الرغم مما أبدته من مهارة وحزم فى إدارة شئون الدولة ، وتقربها إلى العامة وإغداقها الأموال والإقطاعيات على كبار الأمراء ، حيث لقيت معارضة شديدة داخل البلاد وخارجها ، وعارض العلماء ولاية المرأة الحكم ، وفى الوقت نفسه ثارت ثائرة الأيوبيين فى الشام لمقتل توران شاه ، واغتصاب المماليك للحكم بجلوس شجر الدر على سدة الحكم ، ورفضت الخلافة العباسية فى بغداد أن تقر صنيع المماليك .

ولم تجد شجر الدر إزاء هذه المعارضة الشديدة بداً من التنازل عن العرش للأمير عز الدين أيبك قائد العسكر الذى تزوجته ، وتلقب باسم الملك المعز ، وكانت المدة التى قضتها على عرش البلاد ثمانين يوماً .

وإذا كانت شجر الدر قد تنازلت عن الحكم والسلطان رسمياً ، وانزوت فى بيت زوجها فإنها مارسته بمشاركة زوجها مسئولية الحكم ، وخضع لسيطرتها ، فأرغمته على هجر زوجته الأولى أم ولده على ، وحرمت عليه زيارتها هى وابنها .

غير أنه انقلب عليها بعدما أحكم قبضته على الحكم فى البلاد ، وتخلص من منافسيه فى الداخل ومناوئيه من الأيوبيين فى الخارج ، وتمرس بإدارة شئون البلاد ، وبدأ فى اتخاذ خطوات للزواج من ابنة " بدر الدين لؤلؤ " حاكم الموصل ، فغضبت شجر الدر لذلك ، وأسرعت فى تدبير مؤامرتها للتخلص من أيبك ، فأرسلت إليه تسترضيه وتتلطف معه ، وتطلب عفوه ، فانخدع أيبك لحيلتها واستجاب لدعوتها ، وذهب إلى القلعة حيث لقى حتفه هناك فى ١٢٥٧م .

أشاعت شجر الدر أن المعز أيبك قد مات فجأة بالليل ، ولكـــن مماليـــك أيبك لم يصدقوها ، فقبضوا عليها ، وحملوها إلى امرأة عز الدين أيبـــك التـــى أمرت جواريها بقتلها بعد أيام قليلة ، وألقوا بها من فوق سور القلعة ، ودفنـــت بعد عدة أيام ... وهكذا انتهت حياتها على هذا النحو بعد أن كانت ملء الأسماع والأبصار .

العز بن عبد السلام
يبيع أمراء المماليك

ولد الامام العز بن عبد السلام (١١٨١ – ١٢٦٢ م) فى دمشق وعاش فيها ، ثم انتقل إلى مصر بعد أن بلغ عامه الستين وعاش بها حتى وفاته ، نشأ فى أسرة متدينة ، وقصد العلماء ينهل من علومهم ، وجمع فى تحصيله بين مختلف العلوم.

وحين حكم دمشق الملك الصالح إسماعيل من بنى أيوب ولى العز بن عبد السلام خطابة الجامع الأموى ، وبعد فترة قام الملك الصالح إسماعيل بالتحالف مع الصليبيين على قتال ابن أخيه الصالح أيوب حاكم مصر وانتزاعها من يده ، وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والطعام وعندها غضب العز وصعد المنبر وخطب الناس خطبة عصماء وأفتى بحرمة بيع السلاح للفرنجة وحرمة الصلح معهم ، علم الملك الصالح إسماعيل بخروج العز عن طاعته ، فغضب عليه غضباً شديداً ، وأمر بإبعاده عن الخطابة ، وسجنه ، واضطرب أمر الناس ، فأخرجه من السجن ومنعه من الخطبة بعد ذلك .

وتوجه الشيخ إلى مصر – وقد سبقته شهرته العلمية وغيرته الدينية وعظمته الخلقية – فاستقبله سلطانها نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه الخطابة فى جامع عمرو بن العاص ، وقلده القضاء فى مصر ، والتف حوله علماء مصر

وعرفوا قدره ، وبالغوا فى احترامه ... لدرجة امتناع عالم مصر الجليل الشيخ زكى الدين المنذرى عن الإفتاء بحضوره احتراماً له وتقديراً لعلمه .

وكان أول من لاحظه بعد توليه القضاء قيام الأمراء المماليك المملوكين للدولة الإسلامية بالبيع والشراء وقبض الأثمان ، وهو ما يتعارض مع الشرع إذ أنهم فى الأصل مملوكين لا يحق لهم البيع والشراء والزواج من حرائر نساء مصر ، فكان لا يوقع لهم بيعاً ولا شراءً ، فاجتمع أمراء الدولة وأرسلوا إليه فقال الشيخ " نعقد لكم مجلساً وننادى عليكم (بالبيع) لبيت مال المسلمين" ، فاستشاط نائب السلطنة غضباً ، وكان من المماليك ، وأقسم ليقتلن الشيخ بسيفه ، وذهب إليه نائب السلطنة مع جماعة من الأمراء فطرق بابه ، ففتح ابن العز بن عبد السلام الباب وراعه منظر نائب السلطنة إذ رأى سيفه مسلولاً ، والغضب يعلو وجهه فدخل على والده وقال : أنج بنفسك إنه القتل ، فرد عليه الشيخ بقوله : أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله ثم خرج وحين وقع بصره على النائب سقط السيف من يد النائب وارتعد وسأل الشيخ أن يدعو له ، وقال ياسيدى ماذا ستفعل ؟ قال : أنادى عليكم وأبيعكم .

إلا أن السلطان لم يذعن لحكم الشيخ ، فأرسل إليه من يتلطف إليه ، وبعد إصرار الشيخ " أخبره الرسول أن السلطان لن يسمح ببيع الأمراء ، وأمر السلطان واجب ، وهو فوق قضاء الشيخ وعلى أيه حال فليس للشيخ أن يتدخل فى أمور الدولة فشئون الأمراء لا تتعلق به بل بالسلطان وحده !.

فأنكر الشيخ تدخل السلطان فى القضاء وقام فجمع أمتعته تاركاً مصر ، وتجمع الناس وراءه وتبعه العلماء والتجار والنساء والصبيان حتى كادت مصر أن تخلو من سكانها ، فخرج الملك الصالح مسرعاً ولحق بالعز وأدركه فى الطريق واسترضاه وطلب منه أن يعود وينفذ حكم الله ، فتم له ذلك واشتهر العز بعدها بأنه بائع الملوك ، وأودع ثمنهم بيت مال المسلمين فازداد الأمراء المماليك

غضباً وتأمروا على قتل الشيخ مرة أخرى وفشلوا بل وتاب من بعثوهم لقتله على يديه وصلوا صلاة توبة وكان هو أمامهم .

وكان العز بن عبد السلام فى مقدمة الرافضين لحكم شجر الدر ، وبعد وصول قطز لسدة حكم مصر ، وظهور خطر التتار ووصول أخبار فظائعهم ورسلهم المهددين ، وللاستعداد لملاقاة التتار الزاحفين ، أمر قطز بجمع الأموال للإعداد للحرب ، ووقف العلماء وعلى رأسهم العز بن عبد السلام أمام الأمراء وقادة الجند ، فقرروا ألا يؤخذ من الناس شيئاً إلا إذا كان بيت المال فارغاً ، وبعدما يخرج الأمراء والتجار وأغنياء الناس من أموالهم وذهبهم حتى يتساوى الجميع فنزل قطز على حكم العلماء.

عصر النهضة

يطلق عصر النهضة على فترة فى التاريخ الأوربى تمتد حوالى ٢٥٠ عاماً ... وكل ما بعث فى هذا العصر كان ذا أهمية بالنسبة للفن والعلم ، ولذلك تسمى هذه الفترة بالإنجليزية " البعث ".

فبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية بعدة مئات من السنين المظلمة ، رجعت الحضارة الأوربية إلى الوراء وأصابها الركود ، فقد أهملت المؤلفات الإغريقية والرومانية ، وقل عدد العلماء والفنانين وانعدم وجود الحكومات القوية، وكان على المرء فى ذلك الحين إما أن يقاتل وإما أن يؤدى أعمالاً شاقة لكى يحيا حياة بسيطة ... إلا أن المجتمع الأوربى استطاع بالتدريج أن يشق طريقه خارج العصور المظلمة ، وبلغ الاهتمام بالعلم والفن فى النهاية درجة كبيرة حتى سمى ذلك العصر فيما بعد بعصر النهضة.

ولما كان الاهتمام بالعلم والفن يأتى دائماً بالتدريج ، فمن الصعب أن نحدد متى بدأ عصر النهضة بالضبط ؟ ، وإن كان الكثيرون يشيرون إلى ما بين عامى ١٣٠٠ : ١٦٠٠م تقريباً ففى هذه الفترة حدث انقلاب فى فن الموسيقى من التأثير المتبادل بين خصائص الشمال والجنوب ، وفيه انتهت حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا ، وفيه استولى الأتراك على القسطنطينية واختفت

الإمبراطورية البيزنطية ، وهو ما أدى إلى نزوح الفنانين المسيحيين منها إلى إيطاليا بوجه خاص.

وفى هذا العصر أيضاً اكتشفت أمريكا سنة ١٤٩٢م ثم جاء اختراع الطباعة الذى له أهمية بالغة فى تقدم الفنون وانتشارها ، كما اتسع نطاق التعليم اتساعاً كبيراً لزيادة عدد الكتب ورخصها.

وبدأت طباعة المدونات الموسيقية حوالى عام ١٥٠٠م ، وقد تخصص الإيطاليون فيها بادئ الأمر ، ثم أصبحت صناعة مزدهرة ، حيث انتشرت فى باريس ، ونورمبرج ، وغيرها من البلاد الأوربية ، وأصبحت الموسيقى تعزف فى بيوت المواطنين ومدارس المدن الصغيرة والقرى وانتشرت مؤلفات المشاهير بطريقة لم تكن متاحة من قبل.

ومن أهم أحداث ذلك العصر أيضاً قيام حركة الإصلاح البروتستانتية فى ألمانيا ، وتعريض سلطة الكنيسة الكاثوليكية للخطر ، وما ترتب على ذلك من قيام صراع بينهما دام طويلاً ، ولعبت الموسيقى دوراً فى هذا الصراع ، شأنها فى ذلك شأن الأدب وسائر الفنون .

كان لحركة الإصلاح الدينى أثرها فى التقليل من أهمية الألحان المتداولة فى الطقوس الكاثوليكية ، وانتشار الترتيل الجماعى الذى تتميز ألحانه بالبساطة والسهولة ، والذى تبنته الكنيسة الكاثوليكية .

وجاء مولد الأوبرا إشباعاً لرغبة المؤلفين فى إحياء الدراما اليونانية وتقديمها لا بالأسلوب الإلقائى والخط اللحنى المفرد ، بل بأحدث ما وصلت إليه الفنون الموسيقية فى التعبير ، وقامت مجموعة من الأدباء فى فلورنسا بدراسة طبيعة الموسيقى اليونانية القديمة ، وكيفية استخدامها فى الدراما ، وظهرت أولى المحاولات فى المسرحية الملحنة أى الاوبرا.

بدأت النهضة فى إيطاليا ، ومنها انتشرت إلى بقية أوربا وكان من مظاهرها معاودة الاهتمام بالمؤلفات الإغريقية والرومانية القديمة ، كما شملت النهضة كذلك ميادين أخرى كالأدب والفن والموسيقى والعلوم والكشوف الجغرافية ، وقد لمعت فى عصر النهضة أسماء كثير من الكتاب والرسامين والنحاتين والعلماء المكتشفين كما قام أيضاً بعض الزعماء بدور مهم ، ومن هؤلاء الزعماء " لورنزو العظيم " الذى تولى حكم البندقية سنوات عديدة وكان لمعاونته أثر كبير فى تشجيع عدد من الفنانين والكتاب الذين ذاع صيتهم ، ومن أشهر الأسماء التى ظهرت ليوناردو دافنشى ، ومايكل أنجلو ، ورافائيل ، وفاسكو دى جاما ، وكولومبس ، وشكسبير ، وهم قليل من كثير من العظماء الذين حفل بهم هذا العصر.

وكما لم تكن للنهضة بداية محددة ، كذلك لم يكن لها نهاية مفاجئة ، وإن كانت وفاة الملكة اليزابيث الأولى ملكة إنجلترا عام ١٦٠٣م تعد أحياناً نهاية لهذه الفترة المهمة من التاريخ ... ومن الطبيعى أن الاهتمام بالعلم لم ينته بانتهاء هذه الفترة بل يمكن القول أن الاهتمام شمل أيضاً نواحى أخرى كالعمل فى التجارة ومحاولة استيطان العالم الجديد ، ومما لاشك فيه أن سكان أوربا وإن كانوا اليوم أحسن حالاً مما كانوا عليه خلال عصر النهضة ، إلا أن هذا العصر قد هز مشاعر كل من عاش فيه.

حرب المائة عام
أطول حرب فى التاريخ

نشبت هذه الحرب بين إنجلترا وفرنسا فى الفترة من عام ١٣٣٧م حتى ١٤٥٣ م أى لأكثر من مائة عام ، ولم تماثلها فى هذه المدة أى حرب شهدها العالم ... وترجع قصة هذه الحرب إلى أن الملوك الإنجليز لم يستطيعوا نسيان أن عرش هنرى الثانى كان يشمل نصف فرنسا – معظم المنطقة الغربية فيما بين جبال البرانس ونورماندیا – وكان ذلك عن طريق الوراثة والزواج ، وقد فقدت إنجلترا معظم هذه المناطق أثناء حكم الملك " جون " وإن بقى لها الجزء الجنوبى الغربى المعروف " أكويتين " القديمة ، وحتى هذه الدوقية كان بقائها تحت ظل العرش الإنجليزى مشروطاً بنصوص معاهدة باريس التى وقعت عام ١٢٥٩ م ، والتى قضت بأن يحتفظ ملك إنجلترا بالدوقية باعتبارها ضيعة تحت إدارة ملك فرنسا وكان معنى ذلك أن ملك فرنسا كان فى استطاعته دائماً أن يتدخل فى شئون الدوقية ، وهذا هو ما كان يحدث فعلاً ، إلا أنه بحلول القرن الرابع عشر نشأت مشكلة معقدة حول وراثة العرش الفرنسى ، وهنا كان فى استطاعة ملك إنجلترا أن يدعى أحقيته فى المطالبة بعرش فرنسا ، غير أن هذا الادعاء لم تكن له فاعلية مؤثرة ومع ذلك فقد كان سلاحاً مفيداً فى سبيل الحد من التدخل الفرنسى فى دوقية أكويتين وقد كان هذا الموقف الدقيق هو السبب الرئيسى فى نشوب حرب المائة عام.

بدأت هذه الحرب فى عام ١٣٣٧ م بعد عشر سنوات من اعتلاء ادوارد الثالث عرش إنجلترا ، وكانت بدايتها بمناوشات أكثر منها معركة كبيرة ، وقام ادوراد بجمع عدد من الحلفاء وأمر بأن يصنع له تاج مرصع بالجواهر لكى يكون تاجاً لفرنسا يضعه عند دخول باريس ... غير أن الحلفاء سرعان ما تفرقوا واضطر ادوارد لرهن التاج كى يستطيع الإنفاق على جيوشه ، ولم يكن ذلك بالفأل الحسن لبداية الحرب وبعد ثلاث سنوات من الحرب المستمرة لم يكن لدى ادوارد ما يفكر فيه سوى الديون الباهظة التى أحاطت به.

وقد حقق ادوارد بعض الانتصارات على الفرنسيين وبالذات فى معركة "كريسى" أثناء محاولته الاستيلاء على " كاليه " ثم تمكن ابنه من بعده الملقب بالأمير الأسود من إلحاق هزيمة كبيرة أخرى بالفرنسيين عند " بواتييه " ، وفى عام ١٣٦٠ م كان المتحاربون قد أنهكهم القتال فعقدوا صلحاً اعترفت بمقتضاه فرنسا بجميع الفتوحات الإنجليزية ... وعلى الرغم من ذلك استمر الفرنسيون فى القتال بعد أن تدهورت صحة ادوارد الثالث وأخذوا ينتزعون بعض الممتلكات الإنجليزية معتمدين على حرب العصابات وتداعى موقف إنجلترا فى جميع المناطق الفرنسية .

وفى عام ١٣٩٩م تمكن " هنرى بولنجبروك " دوق لانكستر من خلع حفيد ادوارد الثالث عن العرش لأنه كان يرى أنه لا داعى لإعادة نبش الصراع مع الفرنسيين ، لكن هذه السياسة لم ترض عدداً من المستفيدين من الحرب ورأوا أنها سياسة حمقاء وتنم عن الضعف وبالتالى خلعوه عن العرش ، ونصّبوا مكانه دوق لانكستر الذى لقب بهنرى الرابع ، والذى لم يستطع بسبب مشاغله الداخلية أن يحارب فرنسا ، وكان الهجوم التالى من نصيب أخيه هنرى الخامس الذى هزم الفرنسيين هزيمة ساحقة فى معركة " أجنكور " وفى عام ١٤٢٠م وقع معاهدة نصت على منحه نصف فرنسا مع التعهد بأن يرث ابنه فرنسا كلها،

ولكنه توفى عام ١٤٢٢م تاركاً لوراثة العرش ابنه البالغ من العمر تسعه أشـــهر وفى ذلك الوقت وجد الفرنسيون خلاصهم الجديد فى شخصية " جـــان دارك " ، وعلى الرغم من أن القوات الإنجليزية قاتلت بعنف فى سبيل المحافظة على مـــا كسبوه ، إلا أن كل ما بقى لهم من الممتلكات فى فرنسا عام ١٤٥٣م لـــم يعـــد سوى قلعة كاليه.

المدينة المحرمة

تقع المدينة المحرمة فى وسط العاصمة الصينية بكين ، وتضم القصر الامبراطورى فى عهد اسرتى " مينغ " و " تشينغ " الذى يقع فى وسطها حيث يضم حوالى مليون قطعة من التحف الفنية النادرة ، استغرق تشييده ١٤ عاماً (١٤٠٦ – ١٤٢٠ م) ، وتقع القصور الرئيسية بالمدينة المحرمة على خط محورى يمتد من شمال مدينة بكين القديمة إلى جنوبها ويبلغ طوله ثمانية كيلومترات ، تحتل المدينة المحرمة ٧٢٠ ألف متراً مربعاً ويبلغ طولها من الجنوب إلى الشمال ٩٦٠ متراً وعرضها من الشرق إلى الغرب ٧٥٠ متراً ، ويصل إجمالى مساحة مبانيها إلى اكثر من ١٥٠ ألف متراً مربعاً يضم أكثر من ٨٧٠٠ غرفة ، ويحيط بالمدينة المحرمة سور يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار ، ويوجد خارج هذا السور نهر اصطناعى يبلغ عرضه ٥٢ متراً ويسمى بنهر هوتشنغ أى نهر الدفاع عن المدينة ، وعلى كل ركن من أركان السور المحيط بالمدينة المحرمة مقصورة جميلة ورائعة ، وكانت هياكل هذه المقصورات معقدة للغاية ، مكونة من تسعة دعامات وثمانية عشر عموداً واثنتين وسبعين دعامة فرعية .

أقام فى المدينة المحرمة ٤٢ امبراطوراً على التوالى فى عهد أسرتى

مينغ وتشينغ الملكيتين ، وسيطروا على الصين لمدة ٤٩١ سنة ، ووفقاً للوظائف المختلفة تنقسم المدينة المحرمة إلى جزئين وهما الجزء الأمامى والجزء الداخلى، يعتبر الجزء الأمامى مكاناً يقيم فيه الامبراطور المراسم الضخمة وتتوسطه ثلاثة أجنحة على الخط الوسط أما الجزء الداخلى فهو مكان يمارس فيه الامبراطور أعماله اليومية ، كما يقيم فيه الامبراطور وعائلته وتوجد فيه الأجنحة الستة الشرقية والأجنحة الستة الغربية وعمارات أخرى .

أطاحت الثورة عام ١٩١١ بحكم أسرة تشينغ الملكية ، وحسب الاتفاقية "التفضيلية لعائلة تشينغ الملكية" التى وقعتها الحكومة الديمقراطية وديوان أسرة تشينغ الملكية ، يسمح للإمبراطور الأخير بو يى بمواصلة الإقامة فى الجزء الداخلى من القصر الإمبراطورى ، وفى عام ١٩١٤ أصبح الجزء الأمامى من القصر الامبراطورى مفتوحاً للجمهور ، وفى عام ١٩٢٤ طرد بو يى من القصر الإمبراطورى وفتح الجزء الداخلى للجماهير عام ١٩٢٥ ، ويسمى بمتحف " القصر الإمبراطورى " ، وفى عام ١٩٤٧ دمج الجزء الأمامى والداخلى وسميا معاً " متحف القصر الإمبراطورى " وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ ، ظل الحزب والحكومة الصينية يهتمان بمتحف القصر الإمبراطورى ويرصدان كل سنة مبلغاً خاصاً لإصلاحه وإعادة ترميمه ، وفى عام ١٩٦١ صنفه مجلس الدولة الصينى وحدة أثرية ومحمية مهمة على مستوى البلاد وأدرج فى قائمة التراث الثقافى التى حددتها منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٨٧ ، والآن أصبح متحفاً شاملاً يجمع بين الفنون المعمارية القديمة والآثار الإمبراطورية والفنون القديمة المختلفة.

الاختراع الذى غير شكل العالم

كانت الكتب التى تنتجها أوربا تكتب باليد ، ولهذا كانت غالية الثمن وكثيرة التكاليف ، وكانت بعض الكتب تطبع على كتل خشبية تحفر فيها الرسوم والحروف ، وقد عرف الصينيون هذه الطريقة منذ قرون ولكنها كانت بطيئة ومجهدة لأن كل حرف كان يحفر على الخشب باليد ، ثم تعد الكتل الخشبية بعدد صفحات الكتاب.

ثم جاء جوتنبرج الذى كان يعمل فى دار سك النقود بمدينة "مينز" بألمانيا وكان يصنع القوالب التى تختم بها النقود ، وفى عام ١٤٣٠ م ترك مينز إلى ستراسبورج ليعمل فى صقل الأحجار لجواهرجى هناك ، ولكن المشروع لم ينجح ... وخطر لجوتنبرج أنه لو وضع عدداً من الحروف المنفصلة بعضها عن بعض لاستطاع أن يجمع منها كلمات ثم يعود بعد انتهاء حاجته منها إلى جمعها من جديد فى كلمات جديدة ، وهكذا ... ومن هنا كان جوتنبرج أول من استخدام حروف الطباعة المنفصلة المتحركة التى يستطيع جمعها ثم فصلها وإعادة جمعها وفى كل تتغير الكلمات والجمل والصفحات .

وأجرى يوحنا جوتنبرج عدة تجارب على مركبات من الرصاص والقصدير فى صنع حروف الطباعة وفى نفس الوقت استطاع أن يطبع أشياء

قليلة ... وهنا – كما يحدث عادة – نضب معين ماله وكان هذا فى حوالى عام ١٤٥٠ م ولكنه لم يلبث أن وجد مصرفياً ثرياً اسمه " جوهان فوست " رضى بأن يدفع لجوتنبرج مبلغاً يكفيه العيش لسنوات ، واستطاع أن ينتهى من طبع كتابه الأول ، وكان كتاباً باللاتينية يعرض كيفية إعداد الخطب وكان عدد صفحاته (٢٨ صفحة) طبعت كل منها على حدة ... ولهذا كان على الذين يشترون الكتاب أن يجمعوا الصفحات فى مجلد واحد بأيديهم.

وقد سر جوتنبرج بنجاحه وأكسبه هذا النجاح قوة حتى أنه بدأ يطبع "الكتاب المقدس" وكان هذا عملاً مليئاً بالجرأة ، فالكتاب المقدس متعدد الصفحات فضلاً عن أن جوتنبرج لم يكن قد انتهى من كل التفاصيل اللازمة لإعداد وصنع الحروف التى يستخدمها ... ولكن بعد خمس سنوات من تقديم المصرفى فوست القرض الذى مكن جوتنبرج من معاودة العمل احتاج المصرفى لنقوده وبدأ يطالب بسدادها ، ولم يكن هذا السداد مستطاعاً لأن جوتنبرج لم يكن يملك نقداً ، ذلك أن عدد الناس الذين كانوا يقرأون فى هذه الأيام كان قليلاً ، ورفع فوست الأمر للقضاء عندما ضاق بالمطالبة ... واضطر جوتنبرج كوسيلة لأداء الدين أن يعطيه آلة الطباعة وما أعده من الحروف ومعها كل أدواته وأوراقه ، ولكن فوست كان أكثر اهتماماً بالحصول على مال لا على أدوات للطباعة فأعطى ما تسلم من جوتنبرج إلى صانع قوالب آخر اسمه " بيتر شوبفير " وقد لعبت هذه الظروف دوراً مهماً فى تاريخ الطباعة حيث أدخل بيتر عدة تحسينات على طريقة صنع الحروف.

وفى عام ١٤٦٥م منح كبير أساقفة مينز جوتنبرج وظيفة فى بلاطه مع كسوة جديدة من الثياب كل عام ولكنها كانت عملاً لا صلة له بالطباعة ، وكان جوتنبرج إذ ذاك أكثر اهتماماً بما يساعده على العيش أكثر من اهتمامه بأى شئ آخر ، ولم يعمر جوتنبرج طويلاً ، ولم يفكر فيه أى فرد كمخترع كبير ، بل

الواقع أنه لم ينل اهتماماً كبيراً من أحد ، حتى أننا لا نعرف ماذا كانت سمات وجهه ، وهل كان متزوجاً ام لا ؟ ولكن مع هذا كله ... فمن الصعب أن نتصور صورة العالم كيف تكون اليوم لولا عمل يوحنا جوتنبرج ؟!.

وإذا عدنا إلى شكل الكتاب فى البداية فنجد أنه لم تكن ثمة صفحة مخصصة للعنوان فى الكتب التى طبعت فى أول عهد الطباعة ، إذ كان النص يبدأ من وجه الورقة الأولى بعد صيغة قصيرة يبين فيها عادة موضوع الكتاب وأحياناً اسم مؤلفه بينما بقية البيانات التى تشمل مكان الطابع والعنوان الدقيق للكتاب واسم مؤلفه فكانت ترد فى نهاية الكتاب.

ولما كان وجه الورقة الأولى من الكتاب معرضاً للاتساخ أكثر من أى صفحة أخرى فقد بدأ الطابعون فى طبع الكتاب على ظهر الورقة الأولى التى ظل وجهها أبيض وبالتالى طبعوا على هذه الصفحة التى ظلت بيضاء عنواناً مختصراً ، وهكذا بدأت تظهر صفحة العنوان ابتداء من عام ١٤٨٠ م ... ومن الغريب أن الكتب فى البداية وحتى عام ١٤٩٩م كان لا يتم ترقيم صفحاتها.

دراكولا ... هل هو شخصية حقيقية ؟

دراكولا هو أكثر شخصيات الرعب شهرة فى العالم ... وتقول المؤلفات والحكايات الشعبية المؤرخة لمرحلة حكم الأمير " فلاد الرابع " والذى كان يحكم منطقة " فلاكيا " الواقعة فى جنوبى ترانسلفانيا (برومانيا حالياً) فى القرن الخامس عشر الميلادى أن هذا الأمير قد اشتهر بعمليات الاغتيال الوحشية التى ارتكبها ضد الناس فى ترانسلفانيا والمناطق المجاورة لها ، ونجح فى تحقيق عمليات تصفية جماعية مما جعله يبدو كواحد من الوجوه الأكثر وحشية ، وحيوانية فى كل الأزمان .

أطلق عليه معاصروه لقب (دراكولا) أى الشيطان أو الوحش لاستنباطه أبشع مظاهر التعذيب والقتل والتى ذهب ضحيتها مئات الألوف من الناس ، ومن هذه المظاهر نذكر الخوازيق ، الحرق ، التمثيل بالضحية بعد ذبحها ، تقطيع أجزاء جسم الإنسان وهو حى .

وفى عام ١٤٦١م وعندما احتل السلطان العثمانى محمد الثانى مدينة "تاراغوست" عاصمة أقليم فلاكيا ، اقشعر بدنه واجتاحه رعب شديد (على الرغم من أنه أقسى قائد عرفته تركيا) عند مشاهدته لغابة من الرماح غرزت فيها نحو عشرين ألف جثة بأمر من الأمير فلاد الرابع.

إن تاريخ تلك المنطقة يروى لنا مذابح عديدة نفذت بناء على أوامر دراكولا ، ففى عام ١٤٦٤ م قتل ألف شخص من جنسيات مختلفة وأديان مختلفة بطرق متعددة منها " الخوازيق " التى تمت وفق نظام طبقى معين ، جعل الأعيان وكبار القوم على رماح تعلو على رماح العامة من الناس ، وفى عام ١٤٦٦ م أراد الأمير تكريم أعيانه فدعاهم إلى مأدبة غداء وسط ألوف من الجثث ، وعندما تضايق أحدهم من رائحة الموتى وسد أنفه ، أمر فلاد الرابع "بخزوقته " على سفح تل لكى لا يتضايق من الرائحة.

وبعد قتل فلاد الرابع على يد الأتراك بدأت الخرافات تنسج حوله ، خرافات استندت إلى أحداث حقيقية أعقبت وفاته ، فعندما عمد رهبان دير "سناغوف" إلى دفن أشلائه فى مكان مجهول من الدير ، توالت سلسلة من الكوارث على الدير ، فقد أحرقه الأتراك ثم جاءت عاصفة دمرت كنائسه الثلاثة وغاصت إحداها فى البحيرة ، وأعيد بناء الدير وقامت فيه مطبعة بناء على أمر من الراهب الباحث " أنتيم ليغريانو " الذى هرب فجأة ووجد مسموماً ، فتم التخلص من مؤلفاته ومطبعته ، وفى عام ١٩٤٠ م حدث أن انشقت أرض الكنيسة الموجودة فى الدير بفعل زلزال عنيف ، واعتبر فلاحو هذه المنطقة أن جنون الأمير ونهمه إلى القتل لا يزالان يضجان حتى ما وراء قبره.

أما قصر دراكولا فلم يعد اليوم أكثر من ذكرى عابرة لأمير وحش ، تحكى الأساطير أنه انضم بعد موته إلى العفاريت والغيلان الذين حكم عليهم بأن يعيشوا فى حالة تتوسط الحياة والموت ، وقد أصابت المنطقة التى يوجد بها قصر الأمير فلاد الرابع عام ١٩١٣ م هزة أرضية دمرت القصر وقذفت بحجارته إلى النهر المجاور ، وأزيلت تماماً بقايا القصر عام ١٩٤٠ فى زلزال آخر ، وحتى الآن ما زال أناس تلك المنطقة يخشون التجول على مقربة من مكان القصر لأن شبح الوحش ما زال يثير مخاوفهم.

وطوال أربعة قرون من الزمن ، أصبح الأمير منسياً إلى أن عرف شهرة متجددة فى مؤلف الكاتب " برام ستوكر " الذى أحيا ذكراه فى رواية "دراكولا" التى نشرت عام ١٨٩٧م وتعتبر من أفظع روايات الرعب فى تاريخ الأدب ... وعمد ستوكر إلى تطوير هذا الكائن المرعب فهو فى روايته عبارة عن جثة تعود إلى الحياة فى الليل وتهاجم الأبرياء من الناس وتمتص دماءهم ، وهؤلاء الناس بدورهم يصبحون بعد وفاتهم مصاصى دماء يطاردون الضحايا فى الليل على شكل وطواط ، وتصف رواية ستوكر بحث دراكولا عن ضحايا جدد ، حيث يقوده البحث إلى بريطانيا فيطارد امرأتين شابتين هما " لوسى وستيريا " و " مينا سيوارد " بينما هو مطارد من قبل خطيب الأخيرة وصديقه اللذين يتغلبان فى النهاية على دراكولا بعد العثور عليه وطعنه برمح فى قلبه.

لقد حظيت رواية ستوكر بنجاح شعبى هائل ، ولقيت أيضاً نجاحاً مماثلاً كمسرحية عام ١٩٢٧م ، وكأفلام سينمائية متعددة ... ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن شخصية مصاص الدماء التى تستكمل وجودها بشرب دماء الأحياء ، شخصية قديمة جداً نجد لها أثراً فى أدب الحضارات القديمة فى الصين ومصر الفرعونية وفى الحكايات المنقولة عن بنى اسرائيل قبل ظهور المسيح بحوالى ألف سنة.